

الحوار في السنة النبوية ودوره في محاربة التطرف

Dialogue in Sunnah role in fighting extremism

عودة عبد الله

Odeh Abdullah

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Sharia, An-Najah
National University, Nablus, Palestine

الباحث المراسل: odeh74a@najah.edu

تاريخ التسليم: (2018/6/10)، تاريخ القبول: (2019/4/4)

ملخص

يشكل الحوار الإنساني وسيلة مهمة من وسائل بناء الحضارة الإنسانية، لما له من دور في ترسيخ القيم والأفكار، بما يمثله من حالة اتصالية بين الناس. وعليه فإن الالتزام بقيم الحوار المستنبطة من السنة النبوية يشكل حالة متقدمة في بناء هذه الحضارة، من خلال تعزيز روح التفاهم والتسامح بين جميع فئات المجتمع. ويأتي هذا البحث من أجل تسليط الضوء على دور السنة النبوية في التركيز على أهمية الحوار بين الناس، ودور ذلك في محاربة التطرف وترسيخ قيم السلم المدني. حيث تبين أن الالتزام بأخلاقيات الحوار المستنبطة من السنة النبوية من أهم عوامل تحقيق السلم المدني، وذلك لما للالتزام بهذه الأخلاقيات من دور بارز في تمتين نسيج العلاقات بين أفراد المجتمع، وإشاعة روح الطمأنينة بين مختلف الأطياف.

الكلمات مفتاحية: الحوار، الأخلاق، السنة النبوية، التطرف، السلام.

Abstract

Humanitarian Dialogue is an important means of building human civilization, because of its role in the strengthening of values and thoughts, as it represents a state of communication between people. Therefore, the commitment to the ethics of dialogue is considered an advanced state in the construction of this civilization, through the encouragement of the spirit of understanding and tolerance among all

segments of society. This research comes in order to highlight the role of the Islamic Sunnah in focusing on the ethics of dialogue between people, and its role in the consolidation of civil peace values. It was found that adherence to the ethics of dialogue derived from the Sunnah is the most important factor in achieving civil peace, as the commitment to ethics of dialogue play a prominent role in strengthening the relations among members of society, and foster a spirit of trust between the different segments of society.

Keywords: Dialogue, Morals, Sunnah, Ethics, Extremism.

مقدمة

فقد شكلت السنة النبوية الشريفة منهجاً عملياً للمسلم في شتى شؤون الحياة، بما تمثله من توجيهات نبوية سامية، وإرشادات راقية، رَسَمَت لنا طريق الخير والهداية، وشكلت مناراتٍ يُهتدى بها في ظلمات الليل البهيم.

ومن الموضوعات التي تناولتها السنة النبوية، موضوع "الحوار" الذي نحن بصددده في هذا البحث، فقد اعتنت السنة النبوية بهذا الموضوع عناية فائقة، وأولته اهتماماً خاصاً، ورَكَزَت على طبيعة الأسلوب الذي يجري به. كيف لا؟ والحوار أهم وسيلة للاتصال بين بني الإنسان، وأكثر الوسائل قدرة على التأثير في الآخرين.

ويأتي هذا البحث كمحاولةٍ لتسليط الضوء على دور السنة النبوية في ترسيخ قيم السلم المدني ومحاربة التطرف، من خلال التركيز على أخلاقيات الحوار بين الناس، بحيث يكون الحوار وسيلة مهمة لبناء الحضارة الإنسانية، لا وسيلة لتدميرها وهدمها.

ومن أهم الدراسات السابقة حول هذا الموضوع:

- الحوار في السيرة النبوية للدكتور السيد علي خضر
- الحوار: آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية. رسالة ماجستير لخالد المغامسي
- أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم للدكتور عودة عبد الله
- الحوار في القرآن الكريم بحث منشور للدكتور عودة عبد الله

والمنتبج للدراسات السابقة يجدها تناولت موضوعات الحوار بشكل عام من خلال القرآن الكريم أو السنة النبوية، بينما تمتاز هذه الدراسة بكونها تناولت جانباً محدداً في موضوع الحوار، وهو الالتزام بأخلاقيات الحوار، ودور ذلك في تحقيق السلم المدني ومحاربة التطرف، وتخصيص هذا الجانب

بالدراسة من خلال استقراء الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الموضوع، بهدف معرفة تأثير الالتزام بهذه الأخلاقيات على تعزيز قيم السلم المدني في المجتمع.

وقد جاء هذا البحث بعد المقدمة في أربعة مباحث، وهي:

1. معنى الحوار ودوره في تحقيق السلم المدني
2. أهمية الحوار وخصائصه في السنة النبوية
3. أخلاقيات الحوار في السنة النبوية
4. أهمية الالتزام بأخلاقيات الحوار في محاربة التطرف

المبحث الأول: معنى الحوار ودوره في تحقيق السلم المدني

المطلب الأول: معنى الحوار

يُطلق الحوار في اللغة على مراجعة الكلام. يقال: حاورته؛ أي راجعته الكلام، وتحاور القوم أو الجماعة: راجعوا الكلام بينهم. قال ابن منظور: "المحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة"⁽¹⁾. وقال الرازي: "المحاورة: المجاورة، والتحاوُر: التجاوب"⁽²⁾.

وإذا نظرنا في السنة النبوية وجدنا أصل هذه الكلمة في بعض الأحاديث، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِعَیْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلَيَنْبَوُا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ"⁽³⁾. "أي رجع عليه الكفر، فباء وحار ورجع بمعنى واحد"⁽⁴⁾.

وخلاصة القول: إن الحوار والمحاورة في اللغة يستعملان لمعنى واحد، وهو مراجعة الكلام بين طرفين، والتجاوب والمرادة بينهما بواسطة الكلام، وبهذا يستوعب المصطلح كل معاني التخاطب والسؤال والجواب.

وأما المجادلة؛ فهي كما يفسرها اللغويون: "اللد في الخصومة والقدرة عليها"⁽⁵⁾.

- (1) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب: (بيروت: دار صادر)، فصل الراء باب الحاء، 218/4.
- (2) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيوخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ - 1999م، ص67.
- (3) أخرجه مسلم. انظر: النيسابوي، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه، رقم (61)، 79/1.
- (4) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392)، 50/2.
- (5) ابن منظور: لسان العرب، فصل اللام باب الجيم، 105/11.

ويتضح من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة، أنّ اللغويين يفرّقون بين الحوار والجدل. فالجدل فيه طبيعة الخصومة والعناد والتعصب للرأي⁽¹⁾، أما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين المتكلمين، ولا يُراد به بالضرورة الاتجاه إلى الخصومة.

وفي ذلك دليل على أنّ كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل، باعتبار تضمن الكلمة الثانية معنى الصراع، بينما نجد الكلمة الأولى تتسع له ولغيره، مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب⁽²⁾.

أما المعنى الاصطلاحي للحوار فهو لا يختلف كثيراً عن مدلولاته اللغوية، حيث تعرض عدد من الباحثين إلى التعريف الاصطلاحي للفظ (الحوار)، وذكروا لها عدة تعريفات، منها:

- "أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطق وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره"⁽³⁾.

- وعرفه الهاشمي بقوله: "الحوار وسيلة تستخدم الإقناع الذاتي لتمحيص الأفكار والمعلومات السابقة، واختبارها بطريق غير مباشر للتأكد من صحتها أو خطئها؛ لذا فهي لا تعتمد التلقين المجرد القائم على الأمر والنهي أو على مجرد الإلقاء والسماع المطلقين، فالحوار طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين وتتخللها أسئلة وإجاباتها"⁽⁴⁾.

يظهر من التعريفين السابقين أن الحقيقة الاصطلاحية مطابقة للحقيقة اللغوية والتي تعني التباحث بين طرفين أو أكثر، ومراجعة الكلام بينهم بغرض التوصل إلى اتفاق أو إبداء وجهة نظر.

المطلب الثاني: دور الحوار في تحقيق السلم المدني

يعد الحوار من أهم عوامل تحقيق السلم المدني، وذلك لما له من دور بارز في تعزيز نسيج العلاقات بين أفراد المجتمع وإشاعة روح الطمأنينة بين الأطياف المختلفة، كما يعزز الحوار روح التفاهم والتسامح بين الأفراد والفئات ويقصّ مسافات التباعد بين التيارات الفكرية من خلال تقريب وجهات النظر.

وفي أقل الأحوال يؤدي إلى تفهم مختلف الاتجاهات لبعضها البعض، وكل هذا يسهم في تحقيق جانب من السلم والتسامح في المجتمع.

(1) اللهم إلا إذا جاءت المجادلة مقيدة، كأن تكون مجادلة بالحسنى، كما في قوله تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [العنكبوت: 46]. وقوله: ((وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [النحل: 125].

(2) عبد الله، عودة: "الحوار في القرآن" مجلة البحوث والدراسات الشرعية، جامعة الأزهر، السنة الثانية، العدد الرابع، 2012م، ص 131.

(3) الهيتي، عبد الستار إبراهيم: الحوار الذات والآخر، سلسلة كتاب الأمة رقم 99، ص 8.

(4) الهاشمي، عبد الحميد: الرسول العربي المربي، (دمشق: دار الثقافة للجميع، ط1، 1981م)، ص 13.

ولقد شهد التاريخ تطبيقاً عملياً لدور الحوار في تعزيز السلم المدني في المجتمع في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حيث تولى الخلافة في فترة حرجة اتسعت فيها الخلافات وكثرت الآراء المذهبية وتوسعت دائرة العنف الديني على يد الخوارج، وكثر الخارجون على نظام الدولة، فلما تولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله دعا مختلف الفرق وأصحاب المقالات المخالفة للقاء ولإجراء الحوارات الفكرية الهادئة بعيداً عن العنف والقطيعة، فنتج عن ذلك حوارات هداً على إثرها كثير من العنف في الساحة الإسلامية في وقتها، فحاور عمر بن عبد العزيز رحمه الله غيلان الدمشقي حول مقالته في نفي القدر⁽¹⁾، كما ناقش الخوارج في تكفيرهم للمسلمين بالمعاصي⁽²⁾، فكانت النتيجة تسكين العصبية وتقليص الشرور بين المسلمين وإشاعة لجو الحوار بعيداً عن الأجواء المتشنجة.

ولا شك أن البيئة التي يتوفر فيها السلم المدني، هي البيئة الأكثر ملائمة للدعوة إلى دين الله تعالى، ونشر قيم الإسلام العظيمة، أما البيئة التي تسودها الفوضى والاضطرابات الأمنية والاحتراب بين فئات المجتمع عند فقدان السلم المدني، فلا شك ستتلاشى في ظلها هذه الفرص.

ولنا في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شاهد، فقد كانت أكثر الفترات انتشاراً للإسلام بعد صلح الحديبية عام سبع من الهجرة، فمع أن الصلح جاء مصاحباً لشروط قاسية على نفوس الصحابة رضي الله عنهم، رأى فيها البعض ذلاً وهواناً، إلا أنه كان كما سماه الله تعالى ((فَتْحاً مُبِيناً))⁽³⁾ إذ وفر السلم أجواءً أنسب لنشر الدين، فركز الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر الدعاة وكتابة الرسائل للقبائل والملوك، وتوفّر الجو الأنسب عند المدعوين للحوار وسماع مضامين ما يدعو إليه الإسلام، فكانت النتيجة دخول كثير من القبائل في دين الله⁽⁴⁾.

وما غياب السلم المدني عن مجتمعاتنا المعاصرة، إلا نتيجة حتمية لغياب ثقافة الحوار، واستبدالها بثقافة التفرد والاقصاء وتهميش الآخر وعدم الاكتراث به وبرأيه.

وهنا يظهر دور أصحاب الرأي والمسؤولية في المجتمع في تربية النشأ على ثقافة الحوار وقبول الآخر، لما لذلك من دور مهم في نشر معاني التسامح بين الناس، وتعزيز قيم السلم المدني.

- (1) عبد الله بن أحمد: السنة، تحقيق: محمد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1407هـ، ص 145-146.
- (2) صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية بيروت-لبنان، 2/ 214-217.
- (3) الفتح: 1
- (4) البديوي، خالد بن محمد: الحوار وبناء السلم الاجتماعي، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، 2011م، ص13.

المبحث الثاني: أهمية الحوار وخصائصه في السنة النبوية

المطلب الأول: أهمية الحوار

لا شك بأنَّ صفة الحوار والجدل، صفة ملازمة للإنسان، بدليل قوله تعالى: ((وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا))⁽¹⁾.

فقد فطر الله الإنسان على مواجهة هذه الحياة بما فيها من أوضاع وأحداث، بعقلية منفتحة لا تستقر على حال، فتراه يفتش عن الشيء وضده، وعن الحق والباطل، ليجادل في هذا ويحاور في ذاك، فلا يتيقن إلا ليتلمس في رحلة جديدة نحو الشك، ولا يشك حتى يبدأ رحلته الطويلة نحو اليقين.

وقد أشار القرطبي إلى أهمية الحوار باعتباره من أهم الوسائل للتفريق بين الحق والباطل عن طريق استخدام الحجج والبراهين، وإفحام الخصم، فقال في تفسير الآيات التي تتحدث عن المحاجة والمجادلة: "ذلك من الآي فهو كله تعليم من الله عز وجل السؤال والحوار والمجادلة في الدين، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ورفض حجة الباطل"⁽²⁾.

وهكذا تنتوع الأفكار والآراء في كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان، تبعاً للقضايا التي تُثار، والأوضاع العامة التي تفرض هذا الرأي أو ذاك، مما يجعل قضايا الفكر تتنامى وتختلف وراءها العديد من الأتباع والأنصار.

وفي ضوء ذلك كله ينشأ الجدل، ويتحول إلى أسلوب من أساليب الإقناع تارة، والتبرير أخرى، أو التلاعب بالألفاظ مرة ثالثة.

كل ذلك في محاولة لتحقيق الانتصار، أو مواجهة الهزيمة، في هذه المعركة الفكرية والعقائدية⁽³⁾.

أما الحوار في دلالته الواقعية، ففيه محاولة من كلا الطرفين لأنْ يقطع أحدهما الآخر بمنطقه ورأيه. فالحوار إذاً مباراة أدواتها الكلام، ومن الواضح أنَّ القرآن الكريم جعل الاهتمام بالكلام والمنطق في المكان البارز المرموق.

فمما تجدر الإشارة إليه هنا أن أهمية الحوار تنبع من أهمية الكلام نفسه، الذي يُعدّ السلاح الذي يحمله كل نبيّ لتبليغ دعوته إلى الآخرين، إذ لا نزاع في أنَّ مهمة الرسل هي أنْ يبلغوا دين الله للناس فينتزعوهم من الضلال والجهل إلى المعرفة الصحيحة لله أولاً، ثم يبينوا لهم الأسلوب الأمثل لتطبيق شرع الله، وهذا بطبيعة الحال يستلزم الحوار الدائم والمتواصل بينه وبين المرسل إليهم، هو يريد أن يقطعهم بدعوته، وهم يجادلونه للتمسك بتقاليدهم وموروثهم الحضاري.

(1) الكهف: 54

(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م، 3/286.(3) فضل الله، محمد حسين: **الحوار في القرآن**، (بيروت: دار الملاك، ط6، 1421هـ/2001م)، ص 55-56.

ومن هنا تبدو أهمية الكلام باعتباره السلاح الأساسي في هذه الحرب الإعلامية أو النفسية، وإذا كانت سائر الأسلحة العسكرية والنفسية، يمكن لشيء منها أن يؤدي بعض الغرض الذي يؤديه السلاح الآخر، فإن الكلام هو السلاح الوحيد الذي لا يستغني عنه الداعية، ولا يجد شيئاً قط يحل محله، أو يغني عنه أي غناء⁽¹⁾.

ولذلك فقد جعل موسى - عليه السلام - قضية الكلام مطلباً أولياً يدعو ربه أن يحققه له: ((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي))⁽²⁾.

بل نلاحظ أنه حينما تحدث عن الكلام ربط به جوهر رسالته كلها في فهم الناس عنه (يَفْقَهُوا قَوْلِي) لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الرابطة بينه وبينهم، لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم.

فموسى - عليه السلام - لم يطلب من الله قوة أو سلاحاً ليخوض معركته المقبلة، وإنما طلب لساناً كاملاً البيان، ولم يكن لسانه كذلك، فطلب الاستعانة بأخيه النصيح الطلق اللسان ((وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون))⁽³⁾.

وطلاقة اللسان وحسن العرض والصياغة البليغة، التي أعلن موسى عليه السلام أنه بحاجة إليها هي ذاتها الأدوات التي يحتاجها كل داعية إلى الله في كل زمان ومكان⁽⁴⁾.

ومن هنا تكمن أهمية الحوار باعتباره من أحسن الوسائل الموصلة إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي قد يدفع إلى تعديل السلوك إلى الأفضل، لأن الحوار ترويض للنفس على قبول النقد، واحترام آراء الآخرين.

وتتجلى أهميته في دعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية والمخاوف والقلق وهو ما يسمى بالحوار النفسي، فأهميته تكمن في أنه وسيلة بنائية علاجية تساعد في حل كثير من المشكلات، الأمر الذي ينعكس بصورة إيجابية في تحقيق السلم المدني في المجتمع⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: خصائص الحوار في السنة النبوية

بالنظر في أسلوب الحوار في السنة النبوية، يتبين أنه امتاز بعدة خصائص، فيما يلي أهمها:

- (1) حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م)، ص16-17.
- (2) سورة طه: الآيات 25-28.
- (3) سورة القصص: الآية 34.
- (4) حفني: أسلوب المحاور في القرآن الكريم، ص 17-18.
- (5) العبيدي، براء زهير: "الحوار في الكتاب والسنة"، موقع المختار الاسلامي. <http://islamselect.net/mat/8235>

حسن اختيار الموضوع

قصد النبي صلى الله عليه وسلم في حوارهِ مع الآخرين، أن يختار الموضوع المناسب، لأن اختيار الموضوع المناسب يجعل من الطرف المتلقي أكثر قبولاً للقضايا المطروحة.

ومن أمثلة ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك، قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحَكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلُمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَيَا لِكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيَقَالُ لَأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُخْفًا، فَعَنْكَرُ كُنْتُ أَنَاضِلُ"(1).

يلاحظ هنا في حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، أنه اختار موضوعاً مناسباً للحالة التي كانوا عليها، بحيث يلامس موضوع الحوار وجدانهم ويلقى اهتمامهم. فهو هنا يحدثهم عن حساب الله للعبد يوم القيامة، وما يجري من شهادة الأعضاء على الإنسان، فيختار هذه الطريقة المناسبة في الحوار.

الاعتماد على العقل والبرهان

يقوم الإسلام على العقل والعدل، ولا يعرف سياسة العصا في نشر الحقيقة، ونحن عندما نتحدث مع الآخرين يجب أن نتبع سياسة النبي العقلانية، فنحرر القضايا، ونضبط المفاهيم، ونزن الحجج وننصف الخصوم من أنفسنا وأنفسهم، وتقليد الأباء ليس من الأدلة، والانسحاق مع العرف الشائع ليس من الأدلة. إن الله جعل العقل قسمة بين الناس، وركز في فطرتهم احترامه(2).

والاعتماد على العقل اتجاه واضح في كل أساليب الحوار في السنة النبوية، وطبيعة هذا الاعتماد أن الأسلوب يتجه إلى إبراز الحجة والمنطق العقلي، ويتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور الافتراضات التي تنتافي مع أسس القرآن والسنة. حتى إننا نجد الله سبحانه وتعالى ذاته يوجه نبيه في حوارهِ مع المشركين إلى أن يفترض لهم أن هناك آلهة أخرى مع الله ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة: ((قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)) (3)، كما يقول سبحانه: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)) (4).

وهكذا نجد أسلوب الحوار في القرآن والسنة يعتمد على العقل المجرد من التأثير بأي عامل أو مؤثر خارج المحاور، وهو أقصى ما يمكن أن يطلبه أو ينظره مفكر يدعي الحرية في فكره، أو باحث يدعي التجرد من التعصب والانحياز.

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (2969)، 2280/4

(2) الوقفي، إبراهيم: الحوار لغة القرآن والسنة، (مصر: دار الفكر العربي، ط1، 1414 هـ/ 1993م)، ص4.

(3) سورة الإسراء: الآية 42.

(4) سورة الأنبياء: 22.

ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قال: «لَا عُدُوِي وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ» فقال أغرابي: يَا رسولَ الله، فما بالِ إيلي، تُكونُ في الرَّمْلِ كأنَّهَا الطِّبَاءُ، فَيَأْتِي البَّعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيَجْرِبُهَا؟ فقال: «فَمَنْ أَعْدَى الأول؟»⁽¹⁾.

وبذلك يدعو النبي عليه السلام إلى إعمال العقل، فينبه السائل الذي كان يعتقد أن العدوى هي السبب الرئيس للمرض إلى قضية مهمة، وهي: من الذي أعدى الجمل الأول؟ وذلك حتى يبقى المسلم مؤمناً بقضاء الله وقدره، معتمداً عليه في كافة شؤون حياته.

حسن الخطاب والصبر على المخاطب

يلاحظ في الحوار النبوي حسن خطابه صلى الله عليه وسلم لمن يحاوره، وصبره عليه. مثال ذلك ما رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَأَنْتَ أَمِيَّةٌ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمَتُونَنِي لَكَيْتِي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَإِي هُوَ وَأَمِي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»⁽²⁾.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يرد على اليهود بأحسن الألفاظ، ولم يرد عليهم بما هم أهل له، فعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّأَمَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»⁽³⁾.

الشمول والتوازن

في الحوار النبوي خطاب للإنسان بكل جوانبه وفي جميع شؤون حياته، وذلك أن "المتتبع للحوار في السنة يجد أنه يشمل الإنسان كله جسمه وعقله وروحه، كما يشمل سلوكه وفكره ومشاعره، ويشمل دنياه وآخرته"⁽⁴⁾.

- (1) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: اليمامة، ط3، 1407هـ، كتاب الطب، باب لا صفر، وهو داء يأخذ البطن، رقم (5717)، 128/7.
- (2) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، رقم (537)، 381/1.
- (3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجِشًا وَلَا مُتَقَشِّشًا»، رقم (6030)، 12/8.
- (4) الفتنياني، تيسير محجوب: الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ص59.

وفي الحوار النبوي توازن بين درجات الإنسان الروحية والعقلية والجسمية، وبين دنياه وآخرته، ومثال ذلك حديث الرهط الثلاثة الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لَكِي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»⁽¹⁾.

الرفق بالمهزوم

الواضح في حورات النبي عليه السلام هو تركيزها على إبراز النتيجة لأنها محور الخصومة، أما الخصم ذاته، فإن الحوار النبوي لا يهدف إلى النيل منه أو إيذائه حتى بعد إعلان خطئه وسوء موقفه في المحاور. لأن النبي ليس إلا داعياً إلى الله تعالى، ويريد أن يجذب كل الناس إليه، بما فيهم هؤلاء الخصوم، وإيذاؤهم قد يزيدهم بعداً عن الدين بينما هو يريد أن يقرّبهم إليه. عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من يحرّم الرفق يحرّم الخير كله"⁽²⁾.

وليس أدل على ذلك من حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي جاء إلى النبي يطلب منه الإذن بالزنا، فلم يعنفه النبي أو يجره، بل كان معه في غاية الرفق واللين والإقناع. عن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: "ادنه، فدنا منه قريباً". قال: فجلس قال: "أفنجبه لأهلك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفنجبه لأبنتك؟" قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهن". قال: "أفنجبه لأختك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهن". قال: "أفنجبه لعمتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفنجبه لخالتيك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه". قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء⁽³⁾.

- (1) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم 5063، 2/7.
- (2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث (2592)، 2003/4.
- (3) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م، حديث رقم (22211)، 545/36. قال المحقق: إسناده صحيح.

وهو المنهج ذاته الذي سلكه القرآن الكريم في حواراته المختلفة. ومن أمثلة ذلك حوار إبراهيم مع المشركين من عبدة الكواكب، وتدرّجه العقلي والنفسي في أسلوب حوار فريد: ((فَلَمَّا رَأَى السَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ))⁽¹⁾ ولما كان قد أقنعهم بأن الإله لا يغيب، فقد استطاع أن يتملص من قضية ألوهية الشمس لأنها تغيب: ((فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))⁽²⁾.

ولو أنعمنا النظر في هذه الصورة الحوارية، لوجدنا أن إبراهيم عليه السلام قد راعى عدة أمور وأهمها:

1. المحافظة على صلته بالخصوم، وتقريبهم إليه أملاً في كسب إيمانهم "يا قوم".
2. إعلان الحكم على عبادتهم للكواكب بأنها شرك "مما تشركون".
3. استنكار هذا الشرك والبراءة منه "إني بريء مما تشركون".
4. بيان البديل الصحيح الذي عليهم أن يتجهوا إليه، وهو الإيمان "إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض".
5. بين لهم قدرأ كافياً من مزايا الإله الواحد الذي يدعوهم إليه، فهو الذي "فطر السماوات والأرض".
6. بيّن لهم المفصلة في قضية الشرك بالله "وما أنا من المشركين"⁽³⁾.

اعتماد الحوار على السؤال والجواب

يعتمد الحوار النبوي في كثير من الأحيان على السؤال والجواب، وسيلة من وسائل التشويق لمعرفة الإجابة وتثبيت المعلومة في النفوس. ومن الأمثلة على ذلك:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وَلَدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ النَّسِيبُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: "الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَنْخِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَحْطَفُ

(1) سورة الأنعام: الآية 78.

(2) سورة الأنعام: الآيات 78-79.

(3) الفتاوي: الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع، ص 39-41.

الْجُنُ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أُولِيائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ"⁽¹⁾.

وهذا السؤال الغاية منه أمران، هما⁽²⁾:

1. إثارة الاهتمام والانتباه، من أجل التركيز واستحضار الأذهان.
2. معرفة ما كانوا يعتقدونه حيال هذه الشبهة، لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي كانت عندهم في الجاهلية.

المبحث الثالث: أخلاقيات الحوار في السنة النبوية

الأخلاق عنصرٌ أساسٌ في السلوك الذي يكتنف الحوار ويحدد علاقاته وأساليبه ونتائجه بين الأطراف المختلفة. والتربية الحوارية في الإسلام عنيت بإكساب القيم والمبادئ الأخلاقية التي تنأى بالمحاور عن الطباع والسلوكيات الذميمة، وتحرره من سوء الخلق وما يشين لغة الحوار وسلوكيات التخاطب والتعامل مع الآخرين.

ولكي يكون الحوار مثمراً ومؤدياً الغرض المطلوب منه لا بد وأن يتحلى المحاور بمجموعة من الآداب والأخلاق، ينبغي لكل محاور أن يتقيد بها، لأن القصد من الحوار أن يتعاون الفريقان المتناظران على معرفة الحقيقة ومن هذه الأخلاق⁽³⁾:

التواضع

يعد التواضع من أبرز الأخلاق الإسلامية التي ارتكز عليها الحوار النبوي، الذي لم يكن فيه ما يدل على ترفع نفسية الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليتها على الآخرين، أو ما يشير إلى الاستخفاف بهم، بل كان صلى الله عليه وسلم المثال الذي يحتذى في احترام شخصية المتحاورين معه مهما اختلفت درجاتهم وتباينت جنسياتهم، وذلك امتثالاً للأمر الرباني العظيم ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))⁽⁴⁾.

وقد تحلى النبي بهذا الخلق الجميل، فحبه الله إلى الخلق وجعل له في قلوب الناس مؤنهم وفاسقهم مكانة طيبة، فإذا تحاور مع الناس تلهفوا على حديثه وقبلوا منه، ولهذا أوصى الله تعالى

- (1) صحيح مسلم، كتاب السلام، بابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِثْبَانِ الْكُفَّانِ، حديث (2229)، 1750/4.
- (2) الزبير، محمد: **القصص في الحديث النبوي**، المطبعة السلفية، القاهرة، (1398هـ)، ص 96.
- (3) انظر: - بحث بعنوان "الحوار التربوي في السنة النبوية ودلالاته التربوية" للدكتور أحمد محمد عقلة الزبون (جامعة البلقاء التطبيقية / كلية عجلون الجامعية)، 2006/ 2007 م.
- بحث بعنوان "أدب الحوار" للدكتور محمد حسن بخيت. مقدم لمؤتمر (الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر)/ الجامعة الإسلامية بغزة 1426 هـ - 2005 م.
- الحوار في السيرة النبوية. الدكتور السيد علي خضر. طباعة المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرتة، 1431هـ.
- (4) الشعراء: 215

رسله وأتباعهم بالتواضع، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: "وَأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يُبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ"⁽¹⁾.

وقد كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التطبيق العملي لخلق التواضع ولين الجانب مع غيره من المؤمنين وغير المؤمنين.

ومن الشواهد العملية على اتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق العظيم، الحوار الذي دار بينه وبين الصحابي الجليل سواد بن غزية في غزوة بدر، وذلك في الحديث الذي يرويه حبان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنفل من الصف، فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد بن غزية، قال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق، فأقذني قال فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال: استقد قال فاعتنقه وقبل بطنه فقال: "ما حملك على هذا يا سواد؟ فقال: يا رسول الله حضر ما ترى فلم آمن القتل فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله بخير وقال له خيراً"⁽²⁾.

الرفق

لقد كان الرفق السمة البارزة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أخبرنا عنه القرآن الكريم، قال تعالى: ((قَبِيماً رَحِيماً مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ قَضَاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ))⁽³⁾.

ومن هنا فقد كان خلقه الرفق والحلم أثناء حواراته المتنوعة والمتعددة، فاستطاع من خلال هذا الخلق الكريم أن يجذب قلوب المدعوين والمتعلمين من أبناء المسلمين، وأوصاهم بوجوب اتباع الرفق في حواراتهم مع غيرهم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعاً أهمية الرفق واللين: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»⁽⁴⁾.

وبالرجوع إلى السنة النبوية الشريفة، نجد لها حافلة بالحوارات التربوية التي أظهرت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر الرحيم والحليم والرفيق، أذكر منها حواراه صلى الله عليه وسلم مع الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي الذي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم

(1) صحيح مسلم، كتاب الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، باب الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، حديث (2865)، 2198/4.

(2) المظهر، محمد ثناء الله: التفسير المظهر، تحقيق: غلام نبي التونسي، (مكتبة الرشدية - باكستان: 1412هـ)، 26/4. وصححه الألباني. انظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى)، رقم 2835.

(3) آل عمران: 159.

(4) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث (2594)، 2004/4.

فقلت: واكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكتي سككت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"⁽¹⁾.

إن الرفق الذي نهجه الرسول صلى الله عليه وسلم في حوارهِ السابق هو الذي جعل الصحابي الجليل يقبل على النصيحة إقبال المتعلم الحريص في طلب العلم، فقد وجد في شخصية الرسول من الرفق ما جعله يفديه بأبيه وأمه، فهو لم يواجه معلماً أحلم ولا أرفق منه، فكان صلى الله عليه وسلم معه بخلاف الصحابة الذين رموه بأبصارهم حتى تمنى أن تتكلم أمه، فما هي إلا لحظات وانقضت الصلاة، فكان ذلك الصحابي بين يدي معلم رفيق، لم يشتمه ولم يضربه، بل علمه برفق أن الصلاة لها من القداسة والتعظيم ما يجعلها منزلة عن كلام الناس، بل هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن.

وتجلى رفق الرسول صلى الله عليه وسلم في الحوار الذي دار بينه وبين الأعرابي الذي بال في المسجد، وذلك في الحديث الذي يرويه الصحابي الجليل أنس بن مالك إذ يقول: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ»⁽²⁾ دَعَاَهُ فَنَزَعُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاَهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَسَنَّهُ⁽³⁾ عَلَيْهِ⁽⁴⁾.

الصبر

اتصف الرسول صلى الله عليه وسلم بخلق الصبر وكظم الغيظ في حواراته العديدة والمتنوعة، فلم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أنه غضب لنفسه إلا أن تنتهك حرمة من حرّمات الله تعالى، فكان صلى الله عليه وسلم صبوراً حليماً حتى مع من أراد أن يؤذيه من أعدائه.

يبدو هذا واضحاً في الحوار الذي دار بينه وبين عمير الملوّح الليثي عندما أراد قتله وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فقد أورد ابن كثير أن فضالة بن عمير الملوّح الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله

(1) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بابُ تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، حديث (537)، 381/1.

(2) لَا تُزْرِمُوهُ: لَا تَقْطَعُوا. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (190/3).

(3) سَنَّهُ: صَبَّهُ. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (193/3).

(4) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، بابُ وجوب غسل البَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفَرِهَا، حديث (285)، 236/1.

عليه وسلم: "أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: "ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال لا شيء، كنت أذكر الله. قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "استغفر الله " ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقال لا، وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والإسلام
أو ما رأيت محمداً وقتيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيناً والشرك يغشى وجهه الإظلام⁽¹⁾.

فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يحاور فضالة بهذه الطريقة التي تدل على الصبر والحكمة، على الرغم من علمه المسبق بنية فضالة قتله.

حسن الاستماع

يعد حسن الاستماع والإنصات للمحاور من أهم الأمور المساعدة على نجاح الحوار، ولقد ضرب النبي ﷺ في ذلك أروع الأمثلة كما في محاوراته مع أهل مكة وغيرهم. وظهر ذلك جلياً في حسن استماعه صلى الله عليه وسلم وعدم مقاطعته لمن يحاوره، فكثيراً ما كان عليه السلام يسأل من يحاوره هل أكملت حديثك؟ أو هل فرغت من الحديث؟ كي يتسنى له محاورته والرد عليه الرد الجميل.

والسنة النبوية حافلة بالحوارات التي تكشف لنا عن حسن استماع الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث من يحاوره، ولعل من أبرزها الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وعتبه بن ربيعة، حيث استمع النبي ﷺ لعتبة بن ربيعة باهتمام وإنصات ودون مقاطعة حتى فرغ فقال النبي ﷺ: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل⁽²⁾. وحسن الاستماع من النبي ﷺ للرجل جعله يجلس ويستمع كذلك، وإن لم يهتد، فتلك قضية أخرى.

إن المحاور الجيد هو الذي ينتظر، ويتأكد مما يسمعه، ويستوضح أي غموض حتى يتأكد قبل إصدار الحكم⁽³⁾. فمما يؤسف له في الكثير من الحوارات، تداخل الأصوات خلال الحوار، بحيث لا يستمع أي من الطرفين للآخر، إذ يتحدث أحد المتحاورين فلا يصبر عليه الآخر

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): البداية والنهاية، (دار الفكر، 1407 هـ - 1986م)، 352/4.

(2) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (شركة الطباعة الفنية المتحدة)، 193/1.

(3) وجيه، حسن محمد: "مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي"، مجلة عالم المعرفة، العدد (190)، الكويت، ربيع الآخر 1415 هـ - أكتوبر 1994م، ص 26.

فيقاطعه قبل تمام حديثه، مما يكون صورة مؤسفة تضيع معها بعض معالم القضية موضوع الحوار.

الجدال والمحاورة بالتي هي أحسن

الدعوة بالحسنى دعوة عامة للمسلم وغير المسلم، كما قال تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))⁽¹⁾.

والدعوة بالحسنى أدب قرآني أمر به المرسلون على مر التاريخ، وحين أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون الذي بلغ المدى في كفره فزعم أنه إله، قال تعالى لهما: ((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْتَبِرَ أَوْ يَخْشَى))⁽²⁾ هذا مع علم الله تعالى المسبق أن فرعون لن يؤمن، وسيبقى على كفره حتى الغرق، ليكون ذلك نبراساً وأدباً ومنهاجاً مستمراً للدعاة إلى يوم القيامة، وإذا لم ينجح هذا الأدب مع فرعون، فلعله ينجح مع غيره فيتذكر أو يخشى.

وقد حاور النبي ﷺ اليهود مراراً وتكراراً، فما سبَّ أحداً منهم ولا تنقصه بل كان على الدوام يحاورهم بالحسنى ويظهر احترام محاوريه ورغبته الشديدة في هدايتهم إلى الحق، حتى حين كانوا يشتدون في القول وينشرون الأكاذيب كعادتهم كان يقابلهم بالحسنى ويفضح أكاذيبهم، ومن ذلك سؤاله لهم في غزوة خيبر عن أهل النار، قَالَ: "فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَحْلُقُونَ فِيهَا! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اخْسُؤُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا تَحْلُقُكُمْ فِيهَا أَبَدًا"⁽³⁾.

إظهار احترام المحاور

للإنسان من حيث هو إنسان كرامة وفضل بخلق الله له ببديه ونفخه فيه من روحه، كما قال سبحانه: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))⁽⁴⁾.

وكان النبي ﷺ يظهر الاحترام الكبير لكل من خالفه في الدين إذا لم يكن منه أذى أو اعتداء.. وهو أدب قرآني، ولا غرو فقد كانت أخلاقه هي أخلاق القرآن العليا.

فقد رأينا كل الأنبياء ينادون أقوامهم بلفظ "يا قوم" وخطاب سليمان إلى بلقيس الذي بدأه بـ"بسم الله الرحمن الرحيم" فلم يسب ولم يلعن، وإن كان قد استعمل لونا خفيفاً من التهديد أول مرة، ثم زاد من جرعة التهديد في المرة الثانية، والتهديد الذي يمنع إراقة الدماء وإزهاق الأرواح أمر لا غبار عليه، بل هو أمر مرغوب مندوب إليه، ولهذا كله وصفت المرأة - وهي الكافرة

(1) النحل: 125.

(2) طه: 42.

(3) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يُذكر في سُمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (5777).

(4) الإسراء: 70.

ساعتها - كتاب سليمان بأنه كتاب كريم، ولا يكون له هذا الوصف من مخالف إلا لاشتماله على آداب الدعوة والحوار التي تؤصلها شريعة الله الواحدة في كل زمان ومكان، وهذا الأدب كثير في سنة النبي ﷺ نذكر منه على سبيل المثال كتابه إلى هرقل الذي رواه البخاري في حديث طويل، ونص الكتاب:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64)⁽¹⁾.

ونلاحظ في الكتاب من آداب الدعوة إلى الله:

1. الإيجاز الشديد مع الإحاطة بموضوع الرسالة.
2. مراعاة حال المدعو وإظهار احترامه، وذلك لمكانته في قومه، ولاشتمالته إلى الحق.
3. الدقة المتناهية في اختيار الألفاظ والتراكيب، فلم يبدأه بالسلام عليه وإنما على كل من اتبع الهدى، وهذا النوع من التسليم أدب قرآني تأدب به موسى وهارون حين أرسلهما الله إلى فرعون ((فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى))⁽²⁾.
4. الدعوة الصريحة إلى الإسلام بلفظ موجز لا يحتمل التأويل "أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم".
5. استعمال الترغيب والترهيب معاً "أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين".

وثمة فارق ظاهر بين المداينة والنفاق اللذين ذمهما الإسلام، وبين مداراة الناس، فالمداينة فن من فنون المعاملة بين الناس، والمداينة لون من النفاق، وهي أن تثني على الرجل، فإذا تركته ذمته وقعت فيه... أما المداراة فإن تقابله بوجه طلق ميسم وأن تحاوره بالحسنى ولا تنقص من قدره، حتى لو اختلفت معه.. وعن عائشة "أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: يَبْنَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَيَبْنَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ

(1) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، حديث (7)، 8/1.

(2) طه: 47

إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهَدْتَنِي فَحَاشَا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَ النَّاسَ إِتْقَاءَ شَرِّهِ⁽¹⁾.

هكذا ضرب النبي ﷺ - كما كان إخوانه الأنبياء من قبل - أحسن الأمثلة في احترام المحاور؛ لأن الإنسان جُبِلَ على حب ذاته وكرامته، فإذا أهين غضب، وإذا غضب لم يقبل حقاً ولا عدلاً.

المبحث الرابع: أهمية الالتزام بأخلاقيات الحوار في محاربة التطرف

يشكل الالتزام بأخلاقيات الحوار عاملاً مهماً وأساسياً في تشكيل علاقات إيجابية بين الناس، وإزالة العقوائق والعقبات التي تحول دون نشر ثقافة التسامح بين الناس، الأمر الذي يسهم بشكل فعال في تحقيق السلم المدني، ومن ثم حدوث التنمية الشاملة في كافة المجالات.

ويمكن إبراز أهمية الالتزام بأخلاقيات الحوار في محاربة التطرف، من خلال الأمور الآتية:

نقل الأفكار وتبادل المعلومات

لا شك بأن الالتزام بأخلاقيات الحوار يعد وسيلة مثلى لنقل الأفكار وتبادل المعلومات وتنمية القدرة على التفكير والتواصل مع الآخرين، وفي صحيح البخاري أن عائشة رضي الله عنها "كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئاً لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ حُوسِبَ عَذِّبَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوْ لَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَاباً يَسِيرًا﴾ قَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ"⁽²⁾. فقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسأل وتُحاور لتتعلم.

فالحوار إذاً وسيلة لنشر العلوم والتواصل مع الآخرين في عالم يعرف الجديد كل يوم بل كل ساعة. وإذا كان "العالم المتقدم قد أدرك أهمية هذه الثقافة الأنبية والمستقبلية فما أخرجنا نحن - خاصة في إطار ظروف التقهقر الحضاري الراهن في عالمنا العربي والإسلامي- إلى تعرف أساليب استيعاب هذه الثقافة تماماً، بل علينا أن نسهم في تطويرها من واقعنا وقيم حضارتنا العريقة"⁽³⁾.

والتربية الحوارية تربية على منهج العقل المنضبط بالشرع، ولذا فإننا "ينبغي أن نسعى في تربية الناشئة وطلبة العلم على هذا النوع من التفكير المنهجي، لكي ينطلق الطالب في تعلمه

(1) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجِشًا وَلَا مُتَقَجِّشًا»، حديث (6032)، 13/8.

(2) رواه البخاري، كتاب العلم، باب مَنْ سَمِعَ شَيْئاً فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاغَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، حديث (103)، 32/1.

(3) وجيه: "مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي"، مجلة عالم المعرفة، ص30.

وتعليمه لفنه من قاعدة ومنهج، بدلاً من سير عشوائي ليس له ضوابط تضبطه أو أعلام يهتدي بها⁽¹⁾.

فالحوار وسيلة لتنمية الفكر بالاتصال بالآخرين، وعرض الأفكار عليهم والأخذ والرد، مما يمحس الفكر ويزيده ثباتاً ورسوخاً.

التعارف وبناء العلاقات بين الناس

الأصل في العلاقة بين بني البشر أن تكون قائمة على التعاون والتعارف، بغض النظر عن اختلاف الدين والجنس والعرق، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))⁽²⁾.

وخير ما يمكن أن يحقق ذلك هو الالتزام بأخلاقيات الحوار، والتي تسهم في مد جسور التعاون بين الناس أينما كانوا وحيثما حلوا.

وهذا يشكل أساس التفاهم والتعايش السلمي بين الناس، وبدون التحوار والتفاهم سينقلب الأمر إلى صراع، وقد أرسى الإسلام هذا المبدأ، وتعايش المسلمون عبر التاريخ، ومنذ أول يوم للإسلام في مكة، تعايشوا مع غير المسلمين بالتفاهم والتحوار، وهذا التعايش في ذاته إذا كان على أسس شرعية سليمة عدلونا من ألوان الدعوة إلى الله.

إن "إرساء قواعد الحوار البناء تعني القدرة على التعامل الناجح مع الاختلاف، والوصول إلى أفضل البدائل المتاحة، ويضمن الحوار الفعّال ضبط الممارسة الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي حتى لا تتحول إلى فوضى وخروج عن الجماعة وانقسام وفرقة حين يتشبث كل طرف برأيه مهماً أو متجاهلاً وجهات نظر الأطراف الأخرى، فالانفراد والاستبداد بالرأي هو مقدمة للطغيان، والبديل الأمثل هو الحوار"⁽³⁾.

ذلك أن الحضارة إرث إنساني عام مشترك لا ينبغي أن تدعيه أمة أو حضارة وتحرم منه الآخرين، فالحضارة العالمية المعاصرة نتاج تاريخ طويل شاركت فيه كل الأمم والشعوب، ومن أظهر المشاركين فيه تاريخياً الأمة المسلمة، وهو ما ينبغي أن يُظهر للعالم المعاصر من خلال الحوار الإسلامي الممنهج مع مكونات العالم المعاصر.

(1) الرحيلي، عبد الله بن ضيف الله: قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، ط دار المسلم، الرياض 1414هـ - 1994م، ص11.

(2) الحجرات : 13

(3) اللبودي، منى إبراهيم إسماعيل: تنمية فنيات الحوار وآدابه، رسالة دكتوراه بكلية التربية - جامعة عين شمس، القاهرة 2000م، ص86.

والدول والحضارات بعضها ببعض، فذلك بديل عن الصراع والتنافر المفضي إلى الهلاك، والإسلام يقدم الحوار على الصراع، ولا يلجأ إلى الحرب إلا بعد استنفاد كل الوسائل السلمية الممكنة، وهو أمر معلوم من سنة النبي ﷺ⁽¹⁾.

تحسين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان

لا يخفى أن الالتزام بأخلاقيات الحوار يسهم بشكل فعال في تحسين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، لما لذلك من دور في تجنب سوء الفهم ونشوء الصراع، فإن سوء الفهم بين الأصدقاء والجيران والزملاء، بل بين الدول، غالباً ما يزول بكلمة طيبة أو لقاء يسير أو تصريح مريح، المهم أن لا تأخذ الناس العزّة بالإثم والاستكبار عن ابتداء المحاوراة وفتح باب المراجعة والمعاتبة، ولكم رأينا في حياتنا أناساً يظلون أياماً وشهوراً متخاصمين متعادين.. ثم يكون لقاء عابر وكلمة طيبة... فيزول الخلاف بقليل من العتاب وينتهي الأمر إلى خير ومحبة، إن "كثيراً من المختلفين يمنعهم من التسليم بالحق والرجوع إلى الصواب شبهات وشكوك وأباطيل تحتاج إلى جواب وتقنيد وإبطال، والحوار يحقق هذا الهدف، فبه يمكن إزالة كل شبهة، وتقنيد كل باطل"⁽²⁾.

لهذا كان النبي ﷺ لا يترك للخلافات والخصومات مجالاً للالتساع بينه وبين أحد من الناس أو بين الصحابة.. بل كان يسارع إلى إطفاء نار الفتنة، ويدعو إلى إفشاء السلام، ويحرم على المسلم هجر أخيه المسلم فوق ثلاث ليال، ويجعل أول المتخاصمين ابتداءً بالسلام على خصمه خيرهما، بل يفضل إصلاح ذات البين على كثير من الصالحات التي يحجبها المسلم، إذ هو القائل ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ.. وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ"⁽³⁾.

وعلى هذا الأساس فإن الحوار بين الشعوب والحضارات يكون بالتعاون على الخير والابتعاد عن العدوان، وذلك لصالح الإنسانية، فلا يستطيع أي شعب أن يعيش إلا بالاندماج في المجتمع الدولي، ليكون عنصراً فعالاً من عناصر الأسرة الدولية، وتواكب التطور والتقدم في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

(1) خضر، السيد علي: الحوار في السيرة النبوية، طباعة المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرتة، 1431هـ، ص 56.

(2) زمزمي، يحيى بن محمد حسن: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ط2 دار المعالي - الأردن 1422هـ - 2002م، ص 46.

(3) رواه الترمذي واللفظ له من حديث أبي الدرداء (2509) وقال: هذا حديث صحيح، وأبو داود (4919) وهو في صحيح الجامع الصغير (2595). انظر: الترمذي، حمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، 1996م)، ط1. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر).

الحماية من التسلط والاستبداد الفكري والسياسي

شكل الحوار النبوي وسيلة فعالة لقهر التسلط والاستبداد الفكري والسياسي، ووسيلة لقهر التعصب والانغلاق الفكري، وتجنب العنف والإرهاب بكل ألوانه. وكم من حركات تعمل في مشارق الأرض ومغاربها لتحقيق أهداف تبدو أحياناً مشروعة كالاقرار بالهوية الثقافية أو اللغة أو الدين لأقلية تعيش مع أغلبية في دولة واحدة، ولكن تلك الأقلية لا تجد أذاناً صاغية فيلجأ أفرادها أو بعضهم إلى تكوين مجموعات للعمل السري تحمل السلاح، ومن ثم يقع الصراع، وكثيراً ما يكون الضحايا من المدنيين العزل الذين لا علاقة لهم مباشرة بالأحداث أو صناعة السياسة، وإن قليلاً من التواضع والحوار من قبل القوى المسيطرة لكفيل بشد تلك الحركات إلى الحياة المدنية الهادئة بإعطائها بعض الحقوق التي تطالب بها، والصراع الكردي التركي في جنوب شرق تركيا مثال واضح لذلك⁽¹⁾.

إن غياب الحوار من المجتمع يعني غياب الحرية وازدياد العنف، والانسحابية في التعبير عن الأفكار والآراء، وهو دليل على تحكم الاستبداد بالرأي، ومصادرة حرية الفكر والثقافة، وإبراز للحالة الفردية ونبد الآخر وإقصائه.

إن كثيراً من شعوب العالم المعاصر تحمل مفاهيم خاطئة عن غيرها، والمسلمون أكثر من يعاني من ذلك، فالإرث القديم من الحروب بين المسلمين وغيرهم والإعلام المعاصر المعادي وبعض السبلات في واقع المسلمين أنفسهم كل ذلك يجعل للمسلمين صوراً سلبية لدى الآخرين، والحوار من أهم الوسائل لتغيير ذلك كله.

ولقد صرنا نحن المسلمين المعاصرين نتعامل مع الآخر - غير المسلم - كأنه شيء واحد ونمط واحد من الحياة، والحقيقة خلاف ذلك، ثمة اختلاف وتباين وعدل وظلم وخير وشر... والله عز وجل بين للمسلمين ذلك بجلاء في شأن أهم شريحة حضارية يتعاملون معها حتى لا يقعوا في هذا الخطأ، يقول تعالى عن أهل الكتاب ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ تَنْتَوْنِ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾⁽²⁾.

وكثيراً ما نرى اليوم في البرامج الحوارية مثقفين غربيين وساسة ينقمون على قومهم كثيراً من المآسي التي يجرونها على العالم بسياساتهم غير الحكيمة.

إقامة العلاقات مع الآخرين على التسامح والتصالح

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "يصعب علينا أن نقول: إننا نملك فضيلة التسامح إذا لم نؤمن إيماناً عميقاً بجدوى الحوار في تحسين رؤيتنا للأشياء، حين نعتقد أن في كل المسائل الغامضة نقاطاً مظلمة، تحتاج إلى إضاءة، وأننا من خلال قدراتنا العقلية والمعرفية الخاصة، لا نتمكن من إضاءة تلك النقاط، فإننا نسعى إلى الحوار بوصفه الأداة الوحيدة لتوضيح الصورة

(1) خضر: الحوار في السيرة النبوية، ص 54.

(2) آل عمران: 113

الذهنية الأشياء.. من خلال الحوار نمحص الفكرة بالفكرة والمقولة بالمقولة، ومن خلال الحوار نمح الأفكار امتدادات جديدة، كما نحرم بعض الأفكار من امتدادات غير مشروعة، ينطوي الحوار على التسامح، لأنه ينطوي على اعتراف ضمني بالقصور، ويحد من غلواء الاعتداد بالذات، وهذا هو الذي يرسخ لدينا مشاعر الحاجة إلى الآخرين، وتبدأ حركة التأثير والتأثر، والشعور بالحاجة إلى الآخرين.. إن كل واحد منا مطالب بالإيمان بأن الحوار ليس شعاراً نرفعه أو شيئاً تزييناً نتجمل به، وإنما هو مصدر لتعبير الأفكار وتنمية الاتجاهات وإزالة الأوهام⁽¹⁾.

إن البديل الأسرع للحوار هو الحرب، وذلك ما نشهده حين يصل الحوار إلى طريق مسدود فينشب الصراع، وليس الهدف من الحوار إرغام طرف على قبول ما يقوله طرف آخر، بل "إن من أبرز أهداف الحوار تأكيد أن الغاية منه ليست الوصول بالطرف الآخر إلى قناعة المحاور وإلغاء قناعة الطرف الأول الفكرية، وإنما هي إظهار الحق المدعم بالبراهين والأدلة"⁽²⁾.

إن لغة الحوار وثقافة الحوار صمام الأمان لعالم اليوم الذي يموج بالتنوع ويقاد قسراً إلى التوحد على نمط واحد يروج له أصحابه بوصفه النمط الأمثل للحياة، وتعارضه في الوقت نفسه أمم وشعوب وحضارات عديدة، لكن دعاة ذلك التوحد يملكون القوة والمال ووسائل الإعلام لفرض رؤاهم وثقافتهم، إن الحوار سوف ينقذ حضارات وأممًا من الذوبان والسقوط الحضاري في فخ العولمة.

وإذا لم يكن لدى غيرنا - نحن المسلمين - من شعوب الأرض ما تبكي عليه، حيث تخلت كثير منها عن ثقافتها وإرثها بل عن لغاتها أحياناً للنموذج الغربي، فحضارتنا لديها ما يستحق الذود عنه بل الجهاد - وهو مصطلح يُزعج الغرب كثيراً - للحفاظ عليه، إنه الإرث العظيم، إرث الأمة الوسط، الأمة الشاهدة حين لا تُقبل شهادة غيرها، الأمة المحافظة على كلمة التوحيد التي أهملتها كل الأمم في عالم اليوم إلا هي⁽³⁾.

فنحن اليوم في حاجة ملحة إلى إشاعة ثقافة الحوار والتفاوض داخلياً وخارجياً، لمزيد من التفاهم بين المسلمين، ذلك التفاهم الذي يكاد يكون مفقوداً أو على الأقل غير فاعل، حتى وصل الأمر إلى الفرقة والاختلاف وإضاعة الفرص وتمكين العدو منا، بل الحرب بين المسلمين أحياناً !!

(1) بكار، عبد الكريم: "الحوار المتسامح"، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، عدد (121)، ربيع الآخر، 1426هـ - مايو 2005م، ص13.

(2) العلواني، رقية: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ص163.

(3) خضر: الحوار في السيرة النبوية، ص59.

خاتمة

يجدر بنا في نهاية هذا البحث أن نلخص أهم النقاط التي تم التوصل إليها:

1. الحوار غرض أساسي من أغراض السنة النبوية، لذلك لم يقتصر على نوع أو جانب معين، بل شمل كل اتجاهات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها.
2. لم تقتصر السنة النبوية على استخدام الحوار في مجابهة الأعداء والمخالفين، وإنما جعلته في كثير من المواضع وسيلة للتربية والتوجيه، مما يدل على اهتمام السنة به، وحرصها على الأسلوب الذي يؤدي به.
3. أسلوب الحوار في السنة النبوية يركز على الناحية السلمية، التي تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، لأن الصراع الفكري في نظر السنة النبوية وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف إلى جانبه.
4. تعد الأخلاق عنصراً أساسياً في السلوك الذي يكتنف الحوار، والتربية الحوارية في الإسلام عنيت بإكساب القيم والمبادئ الأخلاقية التي تتأى بالمحاور عن الطبايع والسلوكيات الذميمة، وتحرره من سوء الخلق وما يشين لغة الحوار وسلوكيات التخاطب والتعامل مع الآخرين.
5. الالتزام بأخلاقيات الحوار يعد وسيلة مثلى لنقل الأفكار وتبادل المعلومات وتنمية القدرة على التفكير والتواصل مع الآخرين.
6. الالتزام بأخلاقيات الحوار يسهم بشكل فعال في تحسين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، لما لذلك من دور في تجنب سوء الفهم ونشوء الصراع. ولذلك دور فعال في محاربة التطرف، لما له من دور بارز في تعزيز نسيج العلاقات بين أفراد المجتمع وإشاعة روح الطمأنينة بين مختلف الأطياف.

References

- Abbas. Fadel Hussin. *Lta'ef Al-Manan wa Rawa'3 Al-Bayan Fe Nafy Al-Zeyada Wa Al-Hathef Fe Al-Qura'an*. Edition:1430. Jordan: Dar Al-Nafa'es.
- Abu Hayan, Mohammad Ibn Yousef Ibn ali. *Al-Bahar Al-Moheet Fe Al-tafsir*. Ahieve: sudqe Mohammad Jameel. Beirut: Dar Al-Fekr.
- Al-bukhari, Muhammad bin ismail. *Sahih bukhari*, tahqeeq Mustafa adeeb, Edition: 3, 1407 H.

- Al-gyani, Ahmad Ibn mohammad al-ha'am. *Al-tebyan fe tafsir gareeb al-qura'an*. achieve: Fathi Anwar. Edition:1, 1992, Al-kahera: Dar Al-shaba.
- Al-Jazaeri, Jaber bin Musa, *Aysar Altafsir le kalam Al-Ali Alkabeer*, Edition: 5, 1424, Al-Madinah Al- Monawara, Al3oloom wal hekam laibrary.
- Al-laham, Mohammad saeed, *Almo3jam Almofarhas le alfath alqura'an alkareem*, Edition:2, 1424 H, Beirut, dar alma3refah.
- Almanawi, Mohammad abd Alrauoof, *Altawqeef 3la muhemmat alt3areef*, achieve: Muhammad radwan Aldayeh, Edition:1, 1410 H, Beirut, dar alfeker.
- Al-Rageb, Hussin Ibn Mohammad. *Tafsir Al-Rageb*.achieve: Mohammad Abd Al-Aziz. Edition:1,1420, Tanta: Al-Adab College.
- Al-Razi, Mohammad Ibn Oby Baker. *Moktar Al-Sehah*. Achieve Mahmoud Khater. Bierut: Maktabat Lobnan.
- Al razi, fakhr al din Muhammad ibn omar, *Al- tafsir al- kabir*.
- Al-Salman, Abd Al-Aziz Ibn Mohammad. *Al-Anwar Al-sateat Le Ayat Jameat*.
- Al-Somayen Al-Halabi, Ahmad Ibn Yousef. *Omdat Al-Hfath Fe Tafsir Ashraf Al-Alfath*. Ahieve: Mohammad Basil Oyouun. Edition:1,1417.
- Al-qurtobi, Mohammad bin Ahmad bin abi baker. *Al-Jame3 Le Ahkam Al-qura'an*, achieve: Ahmad Albardoni and others, Edition:2, 1384, Cairo, dar alkutob Almasreyah.
- Al-Talkani, Esmail Ibn Abad. *Al-Moheet Fe Al-Lokah*. Ahieve: Mohammad Hussin Al-Yasin. Edition:1,1414. Bierut: Alam Al-Kotb.
- Al-Zahrawi, Mohammad al-Fodayl. *Al-Fajer Al-Satea Ala Al-Sahih Al-Jama*.achieve: Fuad Reshi.

- Al-Zamakshari, Mahmoud Ibn Amro. *Al-Kashaf An Haka'aq Kawamed Al-Tanzeel*. Edition:3,1407. Beirut: Dar Al-ketab Al-Arabi.
- Furuq al-lughawiyah by Abū Hilāl al-‘Askarī, *al-Ḥasan ibn ‘Abd Allah Issue*, achieve: baet Allah bayat. Edition: 1, 1412 H.
- Hamadani, hamed ashraf. *qessat nooh 3alaih alsalam fe Al-qura'an alkareem duroos wa 3ebar*.
- Qutob, Sayed Ibrahim Husain Al-sharebi. *Fe Thelal Al-Qura'an*, Edition: 17, Beirut dar Alshorooq.
- Ibn Abd Al-Bar, Yousef Ibn Abdallah Al-Nimri. *Al-Durar Fe Al-Magazi Wa Al-Seyar*. Achieve: Shawqi Dayef. Edition:2.1403. Al-Kahera: Dar Al-Maref.
- Ibin Alqayem, Mohammad bin abi baker. *Zad Alma3ad fe hadey Al3bad*, Edition:27, Beirut, Al-resalah.
- Ibn Manzur, M. (1414H). *Lisān al-‘Arab*, 3ed edition, Beirut, Dar Sader.
- Ibn hajar, Ahmad Ibn Ali. *Tahtheb Al-Tahtheb*. Edition:1,1326, Al-hand: Dae'rat Al-maref.
- Ibn Hanbal, Ahmad Al-shybbani. *Al-Asami wal kona*. Achieve: abdul allah Ibn Yousef Al-Jadee3. Edition: 1,1406, Al-Kwaat: Dar Al-Aqsa.
- Ibn Hanbal, *Ahmad Al-shybbani*. Msnad Al-Emam Ahmad. Al-Kahera Moa'asat Kortoba.
- Ibn Kathir, *Abu Al-Fidaa Imad Al-Din Ismail bin Omar (B.T)*: Tafseer Al Quran Al Azeem, achieve: Sami bin Mohammad Salamah, Edition: 2, 1420H.
- Ibn Faris, Ahmad, *maqayees Al-lugha*, achieve: Abd- Alsalam Mohammad Haroon, dar Al-fekr.

- Ibin jza, Mohammad bin Ahmad, *altasheel L 3uloom altanzeel*, achieve: Abd Allah Alkhaledi, Edition 1, 1416 H, Beirut dar Alarqam.
- Ibn Sayeda, Ali Ibn Esmail. *Al-Mokhsas*. Achieve: Khalil Ibrahim Jafaal. Edition: 1417. Beirut: Dar Ehya Al-TurathAl-Arabi.
- Imam Jalal ud Din Suyuti: *Al Itqan Fi Uloom Al-Quran*, achieve: Mohammad Abu Al-Fadel Ibrahim.
- Muslem, abu alhusain bin alhajaj, *Sahih Muslem*, achieve: Mohammad fuad abd Albaqi, Beirut, dar ihya'a alturath al3arabi.
- Mustafa, Ibrahim abd alrahim, *Alenfe3alat alnafseya 3nd alanbeya'a 3alayhem alsalam fe alquraan alkareem* (master research) NNU.
- Tantawi, Mohammad Sayyd. *Al-Tafsir Al-Waseet*. Edition1. Al-Kahera Dar Nahdet Masir.

Copyright of An-Najah University Journal for Research, B: Humanities is the property of An-Najah National University and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.